الفصل الحادي عشر

١. التجربة.
٢. السلطة والمجد.
٣. نيقوديموس.
٤. الرَّفض.
٥. خُبز الحياة.

١ . التجربة

في بداية الخَلق، حاول «لوسيفر» (الشيطان) بكل وقاحة أن يشن ثورةً ضدَّ الله من أجل الاستيلاء على عرشه. ورغم أنَّ الله الابن كان ما زال يتمتَّع بالصفات الإلهيَّة الكاملة، إلاَّ أنه ترك مجده وجلاله المنظورين ونزل من السماء وجاء إلى الأرض كإنسان. ويبدو أنَّ الشيطان اعتقد أنَّ يسوع أصبح في موقف ضعف آنذاك. وهكذا، راح الشيطان يُفكِّر في النصر العظيم الذي سيُحقِّقه لو أنه تمكَّن من إغراء يسوع بعمل ما يُريده منه. أمَّا فيما يتعلَّق بالله، فقد كانت تلك فرصة جديدة لإظهار المزيد عن ذاته.

* (انظر الفصل السابق للاطلاع على شرح معنى عبارة «ابن الله»)

ثُمَّ أُصْعِدَ يَسُوعُ إِلَى الْبَرِّيَّةِ مِنَ الرُّوحِ لِيُجَرَّبَ مِنْ إِبْلِيسَ. فَبَعْدَ مَا صَامَ أَرْبَعِينَ نَهَارًا وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً، جَاعَ أَخِيرًا

* كلمة «إبليس» تعني الكاذب أو المُفتري.

(مَتَّى ٤: ١، ٢)

كان يسوع قد انتهى من فترة صيام طويلة:

فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ الْمُجَرِّبُ وَقَالَ لَهُ: «إِنْ كُنْتَ ابْنَ اللهِ فَقُلْ أَنْ تَصِيرَ هذِهِ الْحِجَارَةُ خُبْزًا» (مَتَّى ٤: ٣)

اقتراح

اقترح الشيطان أن يقوم يسوع بشيء يمكن للجميع أن يتفهَّموه ألا وهو أن يهتم بشؤونه الجسديَّة. وقد نظُنُّ أنَّ تلك كانت فرصة ثمينة ليسوع لكي يُثبت هويَّته الحقيقية. فإن كان هو الله فقد خلق العالم بمُجرَّد كلمة منه. وبالتالي، سوف يكون تحويل الحجر إلى خُبز أمراً سهلاً. لكنَّ الأمر كان ينطوي على حيلة! فلو أنه فعل ذلك لكان يتبع أوامر الشيطان.

فَأَجَابَ يسوع وَقَالَ: «مَكْتُوبٌ: لَيْسَ بِالْخُبْزِ وَحْدَهُ يَحْيَا الإِنْسَانُ، بَلْ بِكُلِّ كَلِمَةٍ تَخْرُجُ مِنْ فَمِ اللهِ»

(مَتَّى ٤: ٤)

يسوع يقتبس من الأسفار المُقدَّسة

رَدَّ المسيح على الشيطان عن طريق الاقتباس من أقوال الأسفار المُقدَّسة التي هي كلمة الله المكتوبة فقال إنَّ اتِّباع الله أكثر أهميَّة من الاهتمام بالحاجات الجسديَّة. وما من شكٍّ أنَّ هذا القول بالغ الأهميَّة لأنَّ الكثيرين يهتمُّون بحياتهم الجسديَّة على حساب حياتهم الروحيَّة.

لأَنَّهُ مَاذَا يَنْتَفِعُ الإِنْسَانُ لَوْ رَبِحَ الْعَالَمَ كُلَّهُ وَخَسِرَ نَفْسَهُ؟ (مرقس ٨: ٣٦)

الشيطان «يَقتبس»

ثُمَّ أَخَذَهُ إِبْلِيسُ إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُقَدَّسَةِ أورشليم ، وَأَوْقَفَهُ عَلَى جَنَاحِ الْهَيْكَلِ، وَقَالَ لَهُ: «إِنْ كُنْتَ ابْنَ اللهِ فَاطْرَحْ نَفْسَكَ إِلَى أَسْفَلُ، لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: 'أَنَّهُ يُوصِي مَلاَئِكَتَهُ بِكَ، فَعَلَى أَيَادِيهِمْ يَحْمِلُونَكَ لِكَيْ لاَ تَصْدِمَ بِحَجَرٍ رِجْلَكَ'.» (مَتَّى ٤: ٥، ٦)

كان هذا تحدياً وقحاً من إبليس! فقد كان يقول ليسوع: «أثبت ذلك! بَرهِن أنك ابن الله! فإن

كان الله هو أبوك بالفعل فسوف يُنقذك ويُنجِّيك!»

اقتبس الشيطان بعض ما جاء في سفر المزامير. فهو يُحب التديُّن ويستخدم بعض الاقتباسات لخداع الناس وتضليلهم. لكنَّ المُشكلة كانت تكمُن في أنه لم يكُن يقتبس الكلام بصورة صحيحة؛ بل كان يأخذ الأجزاء التي تُناسب أهدافه فقط. وربما تَذكُر أنه فعل ذلك مع آدم وحوَّاء في جَنَّة عَدْن. وها هو الآن يُحاول فعل الشيء نفسه مع يسوع.

المسيح يقتبس ثانيةً من الأسفار المُقدَّسة

رَدَّ يسوع مَرَّةً أخرى على تجربة الشيطان عن طريق الاقتباس من الأسفار المُقدَّسة؛ لكنه كان يقتبس الكلام بصورة دقيقة وصحيحة:

قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «مَكْتُوبٌ أَيْضًا: لاَ تُجَرِّبِ الرَّبَّ إِلهَكَ» (مَتَّى ٤: ٧)

يسوع يرفض عَرض الشيطان

ثُمَّ أَخَذَهُ أَيْضًا إِبْلِيسُ إِلَى جَبَل عَال جِدًّا، وَأَرَاهُ جَمِيعَ مَمَالِكِ الْعَالَمِ وَمَجْدَهَا، وَقَالَ لَهُ: «أُعْطِيكَ هذِهِ جَمِيعَهَا إِنْ خَرَرْتَ وَسَجَدْتَ لِي» (مَتَّى ٤: ٨، ٩)

كلمة «شيطان» تعني الخصم أو العدوّ.

عَرَض الشيطان على يسوع أن يُعطيه جميع ممالك العالم ومجدها إن هو سَجَد له. ففي نهاية المطاف، ألم يكُن هذا هو الهدف الذي يسعى إليه يسوع – أن يتبعه جميع الناس؟ لكنَّ الشيء الذي لم يَذكُره الشيطان ليسوع هو أنه إذا سَجَد له فسوف يُصبح خادماً لديه. فالعبادة والخدمة يسيران جنباً إلى جنب دائماً ولا يُمكن التفريق بينهما. لكنَّ خطَّة إبليس هذه لم تنجح أيضاً مع يسوع. فقد اقتبس يسوع مُجدَّداً من الأسفار المُقدَّسة:

حِينَئِذٍ قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «اذْهَبْ يَا شَيْطَانُ! لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: لِلرَّبِّ إِلهِكَ تَسْجُدُ وَإِيَّاهُ وَحْدَهُ تَعْبُدُ». ثُمَّ تَرَكَهُ إِبْلِيسُ، وَإِذَا مَلاَئِكَةٌ قَدْ جَاءَتْ فَصَارَتْ تَخْدِمُهُ (مَتَّى ٤: ١٠، ١١)

لم يَنجح الشيطان في محاولاته للإيقاع بيسوع في شِباكه الخادعة. فقد كان يسوع أقوى من أيَّة تجارب، ولم يكُن يسمح بأيَّة مُساومات في مقاومته للتجارب. وهكذا، انسحب الشيطان بصورة مؤقَّتة، لكنه بقي مُصمِّماً على تدمير يسوع!

على الرغم من ذلك، اعتقد الشيطان أنَّه حَقَّق بعض النجاح حينما ألقى بيوحنَّا المعمدان في السجن.[1]

وَلَمَّا سَمِعَ يَسُوعُ أَنَّ يُوحَنَّا أُسْلِمَ، انْصَرَفَ إِلَى الْجَلِيلِ. وَتَرَكَ النَّاصِرَةَ وَأَتَى فَسَكَنَ فِي كَفَرْنَاحُومَ الَّتِي عِنْدَ الْبَحْرِ ... (مَتَّى ٤: ١٢، ١٣)

بلا خَطيَّة

إنَّ الصراع بين الخير والشر ليس صراعاً مُتوازناً. فالرب يسوع، الذي هو نفسه الله الخالق، أقوى بما لا يُقاس من الشيطان الذي هُو مُجرَّد كائن مخلوق. وهكذا، رُغم أنَّ يسوع تعرَّض للتجربة، إلاَّ أنه لم يستسلم لها، بل بقي كاملاً وبلا خطيَّة.

لقد جاء الكثير من الأنبياء الصادقين والكاذبين ورحلوا، لكنَّ أحداً من هؤلاء لم يجرؤ على الادِّعاء بأنه بلا خطيَّة. كما أنَّ الكتاب المقدَّس يُدوِّن حياة الكثيرين الذين تبيَّن أنهم خُطاة، أو الذين اعترفوا بأنهم خُطاة. لكنَّ يسوع لم يفعل ذلك مُطلقاً. فلا نجد في الكتاب المقدَّس بأكمله إشارة واحدة إلى أنَّ يسوع أخطأ أو أنه طلب المغفرة. وحتَّى أنَّ الأشخاص الذين كانوا مُقرَّبين جِدَّاً منه، والذين كان بإمكانهم أن يعرفوا أيَّة زَلاَّت في شخصيَّته (في حال وجودها) كتبوا بأنَّ يسوع:

... لَمْ يَفْعَلْ خَطِيَّةً، وَلاَ وُجِدَ فِي فَمِهِ مَكْرٌ

كانت تجربة الشيطان ليسوع مُجرَّد طريقة أخرى أظهر يسوع من خلالها اتِّحاده بالبشر. فحينما يُدين الله البشر جميعاً في النهاية، لن يكون بمقدور أيِّ شخص أن يقول له: «يا رب، أنت لا تفهمني جيداً! فقد وُلدت أنت في قصر، أمَّا أنا فوُلدت في مكان قذر! وأنت لم تتعرَّض لأي تجربة، بينما تعرَّضت أنا للكثير منها. لهذا، كيف يمكنك أن تُدينني في حين أنك لم تواجه ما واجهته أنا ولم تختبر ما اختبرته أنا؟» لا، لن يكون بمقدور أيِّ شخص أن يقول هذا الكلام لأنَّ الكتاب المقدَّس يقول بأنه ليس لنا إله:

... غَيْرُ قَادِرٍ أَنْ يَرْثِيَ لِضَعَفَاتِنَا، بَلْ مُجَرَّبٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِثْلُنَا، بِلاَ خَطِيَّةٍ

(عبرانيين ٤: ١٥)

٢. السلطة والمجد

وَبَعْدَمَا أُسْلِمَ يُوحَنَّا جَاءَ يَسُوعُ إِلَى الْجَلِيلِ يَكْرِزُ بِبِشَارَةِ مَلَكُوتِ اللهِ وَيَقُولُ: «قَدْ كَمَلَ الزَّمَانُ وَاقْتَرَبَ مَلَكُوتُ اللهِ، فَتُوبُوا وَآمِنُوا بِالإِنْجِيلِ»

(مرقس ١: ١٤، ١٥)

بعد أن أخفق بنو إسرائيل في أن يكونوا نُوراً يُظهر علاقة الله بالبشر، جاء يسوع بملكوت جديد. فهو لم يُقدِّم إمبراطوريَّة سياسيَّة قائمة على شرائع منقوشة على حجارة ويستحيل تطبيقها، بل قَدَّم ملكوتاً روحيَّاً مُتاحاً للجميع، ومكتوباً في قلوب البشر، ويستمد القُوَّة من الله.

كان يسوع يقول للناس أن يتوبوا. وكانت التوبة (أي: تغيير الفكر) شيئاً يحدث في القلب؛

وهو المكان الذي أراد يسوع أن يبدأ بالوصول إليه وتغييره.

وَفِيمَا هُوَ يَمْشِي عِنْدَ بَحْرِ الْجَلِيلِ أَبْصَرَ سِمْعَانَ وَأَنْدَرَاوُسَ أَخَاهُ يُلْقِيَانِ شَبَكَةً فِي الْبَحْرِ، فَإِنَّهُمَا كَانَا صَيَّادَيْنِ. فَقَالَ لَهُمَا يَسُوعُ: «هَلُمَّ وَرَائِي فَأَجْعَلُكُمَا تَصِيرَانِ صَيَّادَيِ النَّاسِ». فَلِلْوَقْتِ تَرَكَا شِبَاكَهُمَا وَتَبِعَاهُ. ثُمَّ اجْتَازَ مِنْ هُنَاكَ قَلِيلاً فَرَأَى يَعْقُوبَ بْنَ زَبْدِي وَيُوحَنَّا أَخَاهُ، وَهُمَا فِي السَّفِينَةِ يُصْلِحَانِ الشِّبَاكَ. فَدَعَاهُمَا لِلْوَقْتِ. فَتَرَكَا أَبَاهُمَا زَبْدِي فِي السَّفِينَةِ مَعَ الأَجْرَى وَذَهَبَا وَرَاءَهُ

(مرقس ١: ١٦-٢٠)

سُلطان يسوع

ثُمَّ دَخَلُوا كَفْرَنَاحُومَ، وَلِلْوَقْتِ دَخَلَ الْمَجْمَعَ فِي السَّبْتِ وَصَارَ يُعَلِّمُ. فَبُهِتُوا مِنْ تَعْلِيمِهِ لأَنَّهُ كَانَ يُعَلِّمُهُمْ كَمَنْ لَهُ سُلْطَانٌ وَلَيْسَ كَالْكَتَبَةِ

(مرقس ١: ٢١، ٢٢)

كان الذين سمعوا يسوع يعرفون أنه مُختلف عن سواه! فقد كان تعليمه جذَّاباً للغاية؛ ولا عَجَب في ذلك لأنهم كانوا يستمعون إلى الله نفسه. لكنَّ يسوع لم يتكلَّم بسُلطان فحسب، بل أظهر ذلك أيضاً:

وَكَانَ فِي مَجْمَعِهِمْ رَجُلٌ بِهِ رُوحٌ نَجِسٌ، فَصَرَخَ قَائِلاً: «آهِ! مَا لَنَا وَلَكَ يَا يَسُوعُ النَّاصِرِيُّ؟ أَتَيْتَ لِتُهْلِكَنَا! أَنَا أَعْرِفُكَ مَنْ أَنْتَ: قُدُّوسُ اللهِ!»

(مرقس ١: ٢٣، ٢٤)

كان الروح النجس (أحد الشياطين التابعة لإبليس) يُهيمن على ذلك الرجل ويسكُن فيه بموافقته ورضاه. وقد تعرَّف ذلك الروح النجس على يسوع ودعاه «قُدُّوس الله»!

فَانْتَهَرَهُ يَسُوعُ قَائِلاً: «اخْرَسْ! وَاخْرُجْ مِنْهُ!» (مرقس ١: ٢٥)

وحيث أنَّ الشياطين تُحرِّف الحقائق لأغراضها ومقاصدها، لم يكُن يسوع يريد منها أن تُخبر الآخرين عن حقيقته. لكنَّ يسوع أثبت أنه المُخلِّص الموعود حينما أمر ذلك الروح النجس أن يخرج من ذلك الرجُل.

فَصَرَعَهُ الرُّوحُ النَّجِسُ وَصَاحَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ وَخَرَجَ مِنْهُ. فَتَحَيَّرُوا كُلُّهُمْ، حَتَّى سَأَلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا قَائِلِينَ: «مَا هذَا؟ مَا هُوَ هذَا التَّعْلِيمُ الْجَدِيدُ؟ لأَنَّهُ بِسُلْطَانٍ يَأْمُرُ حَتَّى الأَرْوَاحَ النَّجِسَةَ فَتُطِيعُهُ!» فَخَرَجَ خَبَرُهُ لِلْوَقْتِ فِي كُلِّ الْكُورَةِ الْمُحِيطَةِ بِالْجَلِيلِ (مرقس ١: ٢٦-٢٨)

من المؤكَّد أنَّ قُوَّة يسوع الخارقة قد أصبحت عنواناً رئيسيًّاً مُتداولاً بين الناس. ولم تكُن هذه سوى البداية فقط!

فَأَتَى إِلَيْهِ أَبْرَصُ يَطْلُبُ إِلَيْهِ جَاثِيًا وَقَائِلاً لَهُ: «إِنْ أَرَدْتَ تَقْدِرْ أَنْ تُطَهِّرَنِي» فَتَحَنَّنَ يَسُوعُ وَمَدَّ يَدَهُ وَلَمَسَهُ وَقَالَ لَهُ: «أُرِيدُ، فَاطْهُرْ!». فَلِلْوَقْتِ وَهُوَ يَتَكَلَّمُ ذَهَبَ عَنْهُ الْبَرَصُ وَطَهَرَ (مرقس ١: ٤٠-٤٢)

في الأزمنة القديمة، كان البَرَص مرضاً مُخيفاً كالموت البطيء، وكان يتسبَّب في تشويه الجسم بصورة فظيعة. لكنَّ الكتاب المقدَّس يُخبرنا أنَّ يسوع شفى جميع أنواع الأمراض الخبيثة والصعبة. ولم يحدُث قَطّ أن عجز يسوع عن شفاء أي شخص؛ بل إنه أقام الموتى أيضاً!

ومن المُهم أن نُدرك أنَّ يسوع لم يقُم بتلك الأعمال بهدف تسلية السُكَّان المحليين. بل في حقيقة الأمر أنه كان يُشفق على هؤلاء الأشخاص ويؤكد لهم أنه جاء هو والرسالة التي يحملها من السَّماء. لهذا، فهو لم يكُن بحاجة لحصان أو عربة أو جيش؛ بل كان كل ما

يحتاج إليه هو أن يتكلَّم مع الناس. فيجب أن لا ننسى أنه «الكلمة» ... المُخلِّص الموعود الذي كتب عنه جميع الأنبياء.

الشياطين

كان يسوع (وما زال) يملك سلطاناً كاملاً على الخليقة بأكملها بما في ذلك الكائنات الروحيَّة المخلوقة. يقول لنا الكتاب المقدَّس:

فَإِنَّهُ فِيهِ خُلِقَ الْكُلُّ: مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا عَلَى الأَرْضِ، مَا يُرَى وَمَا لاَ يُرَى، سَوَاءٌ كَانَ عُرُوشًا أَمْ سِيَادَاتٍ أَمْ رِيَاسَاتٍ أَمْ سَلاَطِينَ. الْكُلُّ بِهِ وَلَهُ قَدْ خُلِقَ. الَّذِي هُوَ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، وَفِيهِ يَقُومُ الْكُلُّ (كولوسي ١: ١٦، ١٧)

إنَّ الصراع بين الخير والشر ليس صراعاً مُتكافئاً. ومن المؤكَّد أنَّ الرب يسوع أقوى بما لا يُقاس من إبليس الذي هو كائن مخلوق. لذلك، إن كان أحد الأشخاص يخاف من العالم الروحي، فينبغي عليه أن يعرف أنَّ يسوع المسيح جاء لكي يُطلقه ويُحرِّره من ذلك الخوف. وسوف نرى في فصلٍ لاحقٍ من هذا الكتاب كيف يقوم الرب يسوع بذلك.

٣. نيقوديموس

كَانَ إِنْسَانٌ مِنَ الْفَرِّيسِيِّينَ اسْمُهُ نِيقُودِيمُوسُ، رَئِيسٌ لِلْيَهُودِ. هذَا جَاءَ إِلَى يَسُوعَ لَيْلاً وَقَالَ لَهُ: يَا مُعَلِّمُ، نَعْلَمُ أَنَّكَ قَدْ أَتَيْتَ مِنَ اللهِ مُعَلِّمًا، لأَنْ لَيْسَ أَحَدٌ يَقْدِرُ أَنْ يَعْمَلَ هذِهِ الآيَاتِ الَّتِي أَنْتَ تَعْمَلُ إِنْ لَمْ يَكُنِ اللهُ مَعَهُ». أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُ: «اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: إِنْ كَانَ أَحَدٌ لاَ يُولَدُ مِنْ فَوْقُ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَرَى مَلَكُوتَ اللهِ» (يوحنَّا ٣: ١–٣) .

كلمة «مُعلِّم» هي لقب يُطلق على المُعلِّم الديني اليهودي؛ وهو لقب يُظهِر الاحترام والتوقير

الولادة الثانية؟

كان نيقوديموس رجلاً له مكانته. فقد كان عضواً في السنهدريم (مجلس اليهود الأعلى) وبما أنه فرّيسيّ، فقد كان يُطبِّق شريعة موسى بحذافيرها. وحيث أنه يهودي من نسل إبراهيم، فقد كان يعتبر نفسه جزءاً من الشعب المُختار. كذلك، كان أجداد نيقوديموس أتقياء، وكان كل شيء يتعلَّق بأصله يبدو مثاليًّاً ورائعاً. رغم ذلك فقد وجد الرب يسوع في هذا الرجل عيباً وقال له: «يجب أن تولد ثانيةً!» كان يُفترض بيسوع أن يُقدِّم لنيقوديموس خبراً مُفرحاً؛ لكنَّ هذا الخبر لم يكُن بالخبر السار على الإطلاق. كذلك، كيف يمكن للمرء أن يولد من جديد؟

قَالَ لَهُ نِيقُودِيمُوسُ: «كَيْفَ يُمْكِنُ الإِنْسَانَ أَنْ يُولَدَ وَهُوَ شَيْخٌ؟ أَلَعَلَّهُ يَقْدِرُ أَنْ يَدْخُلَ بَطْنَ أُمِّهِ ثَانِيَةً وَيُولَدَ؟» أَجَابَ يَسُوعُ: «اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: إِنْ كَانَ أَحَدٌ لاَ يُولَدُ مِنَ الْمَاءِ وَالرُّوحِ لاَ يَقْدِرُ أَنْ

يَدْخُلَ مَلَكُوتَ اللهِ. اَلْمَوْلُودُ مِنَ الْجَسَدِ جَسَدٌ هُوَ، وَالْمَوْلُودُ مِنَ الرُّوحِ هُوَ رُوحٌ. لاَ تَتَعَجَّبْ أَنِّي قُلْتُ لَكَ: يَنْبَغِي أَنْ تُولَدُوا مِنْ فَوْقُ» (يوحنَّا ٣: ٤-٧)

هذا هو الأمر إذن! فالرب يسوع لم يكُن يتكلَّم عن ولادة نيقوديموس كطفل، بل كان يتحدَّث عن الولادة الثانية ألا وهي الولادة الروحيَّة. لقد كان الأمر واضحاً تماماً؛ فلكي تذهب إلى السماء فإنك لا تحتاج إلى الولادة الجسديَّة فحسب، بل تحتاج أيضاً أن تولد من جديد بالمعنى الروحيّ. لكن كيف يُمكن للمرء أن يُولَد روحيًّا؟ تابع يسوع حديثه قائلاً:

وَكَمَا رَفَعَ مُوسَى الْحَيَّةَ فِي الْبَرِّيَّةِ هكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يُرْفَعَ ابْنُ الإِنْسَانِ، لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ (يوحنَّا ٣: ١٤، ١٥)

كان يسوع يقول لنيقوديموس إنه لكي يولَد روحيًّاً ينبغي عليه أن يكون مثل الشعب في زمن موسى. فينبغي عليه أوَّلاً أن يعترف أنه خاطئ. بعد ذلك، يجب عليه أن يُغيِّر فكره القائم على الاعتقاد بأنَّ أصله ومكانته سيجعلانه مقبولاً لدى الله، وأن يضع ثقته في الرب يسوع الذي جاء من السماء لكي يُقدِّم للناس طريقاً للنجاة أو الخلاص. فإن وضع نيقوديموس ثقته في الرب يسوع، فسوف ينال الحياة الأبديَّة.

الإيمان والثقة

إنَّ كلمة «يؤمن» في الآية أعلاه تعني ضمنيًّاً ما هو أكثر من الموافقة العقليَّة. فقد كان بإمكان أفراد الشعب العبراني القديم أن يُقرُّوا بأنَّ النظر إلى حيَّة موسى النحاسيَّة سيشفيهم؛ لكن إن لم يُظهِروا إيمانهم بالله عن طريق النظر فعليًّاً إلى تلك الحيَّة النحاسيَّة فسوف يموتون. وهكذا، فإنَّ المعنى الفعلي لكلمة «يؤمن» بحسب تعليم الكتاب المقدَّس يشتمل على فعل الإرادة، وهي كلمة مُرادفة للإيمان والثقة.

كذلك، فإنَّ موضوع إيمان المرء هو من الأمور المهمة أيضاً؛ بل إنه أمر بالغ الأهميَّة. قبل بضع سنوات، قام أحد الأشخاص المخبولين بوضع سُم قاتل في كبسولات دواء. ونتيجة لذلك، مات عِدَّة أشخاص بسبب إيمانهم الصادق بأنَّ ذلك الدواء سيُعطي المفعول المذكور في الإعلانات. وهكذا، رغم أنهم وثقوا بصدق، إلاَّ أنهم آمنوا بالشيء المغلوط!

يمكن لكل شخص أن يؤمن بإخلاص أنَّ إلهاً زائفاً سيُخلِّصه من الخطيَّة؛ لكنَّ هذا الإخلاص القائم على مُعتقدات خاطئة قد يكون مُهلكاً. أمَّا إذا كان موضوع الإيمان هو الله الحقيقي الواحد فسوف يكون تأثير هذا الإيمان مُختلفاً تماماً لأنَّ الله يحفظ وعوده.

«لأَنَّهُ هكَذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ، لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ» (يوحنَّا ٣: ١٦)

الحياة الأبديَّة

كان الرب يسوع يَعِد الناس بالحياة الأبديَّة. فلم يكُن هذا الوعد موجَّهاً لنيقوديموس فقط، بل لكل مَنْ يؤمن به! وقد قال الملاك جبرائيل لمريم ويوسف أن يُسمِيَّا المولود «يسوع» لأنَّ هذا الاسم يعني «المُنقذ» أو «المُخلِّص». وها هو يسوع يقول الآن إنه سيُخلِّص الإنسان من عقاب الخطيَّة ألا وهو العقاب الأبدي في بُحيرة النار.

«لأَنَّهُ لَمْ يُرْسِلِ اللهُ ابْنَهُ إِلَى الْعَالَمِ لِيَدِينَ الْعَالَمَ، بَلْ لِيَخْلُصَ بِهِ الْعَالَمُ» (يوحنَّا ٣: ١٧)

وهكذا، فإنَّ الرب يسوع لم يأت إلى الأرض لكي يُدين الناس، بل جاء لكي يُخلِّص العالم من المأساة التي تسبَّبت فيها الخطيَّة، وإبليس، والموت.

«اَلَّذِي يُؤْمِنُ بِهِ لاَ يُدَانُ، وَالَّذِي لاَ يُؤْمِنُ قَدْ دِينَ، لأَنَّهُ لَمْ يُؤْمِنْ بِاسْمِ ابْنِ اللهِ الْوَحِيدِ» (يوحنَّا ٣: ١٨)

لا للحلول الوسط

قال يسوع إنَّ كل مَنْ يؤمن به لن يُدان كخـاطيء. أمَّا كل من لا يؤمن به فهو تحت الدينونة. وهكذا، لم يكن هناك حَلٌّ وسط، ولم تكُن هناك طريقة أخرى للتعامُل مع هذا الأمر. فلا يُمكن للمرء أن يقول إنه سيُفكِّر في الأمر ثُمَّ يبقى في منطقة مُحايدة. وهكذا، ينبغي عليك أن تختار أن تؤمن؛ فبخلاف ذلك سوف تبقى غير مؤمن. وبالتالي، فإنَّ عدم اتخاذ قرار هو قرار في حَدِّ ذاته.

كذلك، لا تنتظر إلى ما بعد الموت لتعرف ما هو مصيرك الأبدي. فقد تحدَّث الرب يسوع عن هذا الأمر بكل وضوح فقال إنَّ المرء سيكون تحت دينونة الله ومصيره هو بُحيرة النار ما لم يؤمن بيسوعَ ويَقبله مُخلِّصاً لحياته. فإن فعل ذلك فسوف ينال الحياة الأبديَّة. كان هذا هو الوعد الذي قطعه يسوع:

اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مَنْ يَسْمَعُ كَلاَمِي وَيُؤْمِنُ بِالَّذِي أَرْسَلَنِي فَلَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ، وَلاَ يَأْتِي إِلَى دَيْنُونَةٍ، بَلْ قَدِ انْتَقَلَ مِنَ الْمَوْتِ إِلَى الْحَيَاةِ (يوحنَّا ٥: ٢٤)

لم يكُن يسوع يتغاضى عن دينونة الخطيَّة. فقد كان يعرف تماماً أنَّ كثيرين سيختارون أن لا يثقوا به:

وَهذِهِ هِيَ الدَّيْنُونَةُ: إِنَّ النُّورَ قَدْ جَاءَ إِلَى الْعَالَمِ، وَأَحَبَّ النَّاسُ الظُّلْمَةَ أَكْثَرَ مِنَ النُّورِ، لأَنَّ أَعْمَالَهُمْ كَانَتْ شِرِّيرَةً. لأَنَّ كُلَّ مَنْ يَعْمَلُ السَّيِّئَاتِ يُبْغِضُ النُّورَ، وَلاَ يَأْتِي إِلَى النُّورِ لِئَلاَّ تُوَبَّخَ أَعْمَالُهُ (يوحنَّا ٣: ١٩، ٢٠)

كان الرب يسوع يتحدَّث عن النور الروحي مُقابل الظلام الروحي. وقد قال بأنَّ الكثيرين يكرهون النور لأنه يكشف الخطيَّة. ومن المعروف أنَّ الناس لا يُحبُّون أن يظهروا بمظهر الخُطاة، بل هُم يُفضِّلون الاختباء، أو إلقاء اللَوم على الخطيَّة، أو على الآخرين – تماماً كما فعل آدم وحوَّاء. والكتاب المقدَّس يقول عن أمثال هؤلاء إنهم يُفضِّلون الظلام. لكن ما هو هذا النور الذي تحدَّث عنه الرب يسوع؟

ثُمَّ كَلَّمَهُمْ يَسُوعُ أَيْضًا قَائِلاً: «**أَنَا هُوَ نُورُ الْعَالَمِ ...**» (يوحنَّا ٨: ١٢أ)

حينما خلق الله العالم جعل فيه نوراً لكي نرى طريقنا عبر الطرق والشوارع. لكنَّه جاء إلى الأرض لكي يكون نوراً لطريقنا الروحي.

«... مَنْ يَتْبَعْنِي فَلاَ يَمْشِي فِي الظُّلْمَةِ بَلْ يَكُونُ لَهُ نُورُ الْحَيَاةِ» (يوحنَّا ٨: ١٢ب)

٤ . الرَّفض

ورجَعَ يَسوعُ بَعدَ أيّامٍ إلى كَفَرْناحومَ، فسَمِعَ النّاسُ أنَّهُ في البَيتِ. فتجَمَّعَ مِنهُم عددٌ كبيرٌ ملأَ المكانَ حتّى عِندَ البابِ، فوَعظَهُم بِكلامِ اللهِ. وجاءَ إليهِ أربعةُ رِجالٍ يَحمِلونَ كسيحًا. (مرقس ٢: ١-٣ – المشتركة)

الكسيح (المشلول)

كان مُسلسل الأحداث هذا يتكرَّر دائماً في كل مكان يذهب إليه يسوع. فحالما كان يظهر في أي مكان، كان المرضى والعُرج يتوافدون من كُلِّ حَدْبٍ وَصَوب! وفي هذه المَرَّة جاء أربعة رجال يحملون صديقاً كسيحاً يضطجع على سريره.

فلمَّا عَجِزوا عَن الوُصولِ بِه إليهِ لِكثرَةِ الزِّحامِ، نقَبُوا السَّقفَ وكشَفوا فوقَ المكانِ الّذي كانَ فيهِ يَسوعُ ودلُّوا الكسيحَ وهوَ على فراشِهِ.

(مرقس ٢: ٤ – المشتركة)

كانت سقوف المنازل في ذلك الزمان مُسطَّحة. وكان هناك درج يؤدي إلى السطح الذي كان أهل البيت يستخدمونه كمكانٍ للاسترخاء في ساعات المساء. وحينما عجز هؤلاء الرجال الأربعة عن الوصول إلى يسوع، صعدوا إلى السطح، ونقبوه، وأنزلوا صديقهم الكسيح أمام يسوع. ولا بُدَّ أنَّ ثقب السطح كان مهمَّة شاقَّة. ويمكنك أن تتخيَّل الغبار والتراب الذي انهمر على من هُم في داخل البيت. وقد أدَّى ذلك بالطبع إلى إيقاف الدرس الذي كان يسوع يُعلِّمه للناس هناك. نظر الجميع إلى السطح وراحوا يتساءلون عَمَّا يجري هناك! وحينما ظهرت وجوه أولئك الرجال الأربعة العاقدي العزم، لا بُدَّ أنَّ الناس صرخوا بصوت مُرتفع: «ألا يوجد لديكم احترام؟ لقد تساقط التراب علينا! لقد أتلفتم السقف!» لكنَّ يسوع كان يرى شيئاً مُختلفاً.

فلمَّا رأى يَسوعُ إيمانَهُم قالَ للكسيحِ: «يا اَبني، مَغفورَةٌ لكَ خَطاياكَ!» (مرقس ٢: ٥ – المشتركة)

القلب

كان الرب يسوع (وما زال) يُركِّز على قلب الإنسان قبل أيِّ شيءٍ آخر. ورغم أنه لم يكن من العسير عليه أن يغفر الخطايا، إلاَّ أنَّ بعض الحاضرين لم يتقبَّلوا ذلك. ومع أنهم لم يتفوَّهوا بأيِّ كلمة، إلاَّ أنَّ أفكارهم كانت عدائيَّة.

وكانَ بَينَ الحُضورِ بعضُ مُعَلِّمي الشَّريعةِ، فقالوا في أنفُسِهِم: «كيفَ يتكَلَّمُ هذا الرَّجُلُ كلامًا كهذا؟ فهوَ يُجدِّفُ! مَنْ يَقدِرُ أن يَغفِرَ الخطايا إلاَّ اللهُ وَحدَهُ؟» (مرقس ٢: ٦، ٧ – المشتركة)

كان هؤلاء على حق – فالله هو الوحيد الذي يمكنه أن يغفر الخطايا!

وعرَفَ يَسوعُ في سِرِّه أفكارَهُم، فقالَ لهُم: «ما هذِهِ الأفكارُ في قلوبِكُم؟» (مرقس ٢: ٨ – المشتركة)

عرف يسوع أنهم كانوا يُفكِّرون وأخبرهم بأنه يعرف أفكارهم! ويمكنك أن تتخيَّل شعورهم بالخجل والخزي آنذاك. وهكذا، فقد راحوا يُراجعون أنفسهم ويحاولون أن يتذكَّروا كل ما كانوا يُفكِّرون به خلال الدقائق العشر الأخيرة. ورغم كل شيء، كان هناك أمر واحد مؤكَّد

ألا وهو أنَّ يسوع قادر على قراءة أفكارهم! لكنَّ يسوع لم يكُن يحاول إثارة إعجابهم. بعد ذلك، طرح عليهم يسوع السؤال التالي:

«أيُّما أسهَلُ: أنْ يُقالَ لِهذا الكسيح: مَغفورَةٌ لكَ خَطاياكَ، أمْ أنْ يُقالَ لَه: قُمْ واَحمِلْ فِراشَكَ واَمشِ؟» (مرقس ٢: ٩ – المشتركة)

أسئلة، أسئلة

لم يكُن بوسع أمهر المُحامين أن يصيغ سؤالاً أصعب من هذا السؤال! ويمكننا أن نتخيَّل الكَتَبة وهُم يُجهدون عقولهم في التفكير في ذلك السؤال قائلين في أنفسهم: «من الواضح أنَّ ذلك الرجل كسيح، وأنه من المستحيل إعادة أطرافه المشلولة إلى حالتها الطبيعية. فلا أحد يستطيع شفاء هذا المرض سوى الله. لكن إن كان بإمكان يسوع أن يُعيد الحياة لتلك الأطراف اليابسة فهذا يعني أنه ... لا، هذا غير معقول! فلا يُمكن لله أن يُفكِّر في المجيء إلى الأرض وأن يعيش تلك الحياة البسيطة والمتواضعة التي كان يسوع يعيشها بعيداً عن القصور والفخامة الإمبراطوريَّة. يا لها من وقاحة في أن يطرح مثل هذا السؤال علينا! من يعتقد نفسه؟ الله!؟» وعندها قاطع يسوع حَبل أفكارهم وأجابهم عن تساؤلاتهم دون أن يطلبوا منه ذلك:

«سأُريكُم أنَّ اَبنَ الإنسانِ لَه سُلطانٌ على الأرضِ ليَغفِرَ الخَطايا». وقالَ لِلكسيح: «أقولُ لكَ: قُمْ واَحمِلْ فِراشَكَ واَذهَبْ إلى بَيتِكَ!» فقامَ الرَّجُلُ وحمَلَ فِراشَهُ في الحالِ وخرَجَ بِمَشْهدٍ مِنَ الحاضِرينَ. فتَعجَّبوا كُلُّهُم ومَجَّدوا اللهَ وقالوا: «ما رأينا مِثلَ هذا في حَياتِنا!»

(مرقس ٢: ١٠-١٢ – المشتركة)

لم يكُن هدف المُعجزات التي يُجريها يسوع هو التسلية؛ بل إثبات صِدق أقواله عن نفسه.

خُطاة بائسون

ثُمَّ خَرَجَ أيْضًا إلَى الْبَحْرِ. وَأَتَى إِلَيْهِ كُلُّ الْجَمْعِ فَعَلَّمَهُمْ. وَفِيمَا هُوَ مُجْتَازٌ رَأَى لاَوِيَ بْنَ حَلْفَى جَالِسًا عِنْدَ مَكَانِ الْجِبَايَةِ، فَقَالَ لَهُ: «اتْبَعْنِي». فَقَامَ وَتَبِعَهُ (مرقس ٢: ١٣، ١٤)

رُغم أنَّ لاوي كان يهودياً، إلاَّ أنه كان يعمل كجابي ضرائب لدى الرومان. وكان جُباة الضرائب هؤلاء يكسبون أجورهم من خلال فرض ضريبة إضافيَّة على الناس؛ بل إنهم كانوا يُرغمون الناس على دفع المزيد من المال لكي يملأوا جيوبهم بالنقود. لذلك، كان الناس يكرهونهم بسبب سُلطتهم الفاسدة وبسبب استعدادهم للعمل كمصَّاصي دماء لدى الرومان. رغم ذلك، حينما اجتاز الرب يسوع مكان الجباية، دعا لاوي ليتبعه.

وَفِيمَا هُوَ مُتَّكِئٌ فِي بَيْتِهِ كَانَ كَثِيرُونَ مِنَ الْعَشَّارِينَ* وَالْخُطَاةِ يَتَّكِئُونَ مَعَ يَسُوعَ وَتَلاَمِيذِهِ، لأَنَّهُمْ كَانُوا كَثِيرِينَ وَتَبِعُوهُ. وَأَمَّا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ فَلَمَّا رَأَوْهُ يَأْكُلُ مَعَ الْعَشَّارِينَ وَالْخُطَاةِ، قَالُوا لِتَلاَمِيذِهِ: «مَا بَالُهُ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ مَعَ الْعَشَّارِينَ وَالْخُطَاةِ؟» فَلَمَّا سَمِعَ يَسُوعُ قَالَ لَهُمْ: «لاَ يَحْتَاجُ الأَصِحَّاءُ إِلَى طَبِيبٍ بَلِ الْمَرْضَى. لَمْ آتِ لأَدْعُوَ أَبْرَارًا بَلْ خُطَاةً إِلَى التَّوْبَةِ» (مرقس ٢: ١٥-١٧)

*العشار: هو جابي الضرائب، وحيث أنَّ أغلب العشَّارين يجبون أموالاً أكثر من الضريبة المستحقة ظلماً، أصبح لقب العشَّارمُرادفاًللخاطئ.

كان الرب يسوع قادراً فقط على مساعدة الأشخاص الذين يعترفون بخطاياهم. وكانت تلك هي الخطوة الأولى للقبول لدى الله.

العمل يوم السَّبت

من المؤكَّد أنَّ توبيخ يسوع المُستمر للفرِّيسيِّين كان يُغيظهم ويجعلهم يشعرون بالخزي من أنفسهم. وحيث أنهم كانوا يأملون في ضبط يسوع وهو يقوم بعمل خطيئة كبيرة فاضحة، فقد راحوا يُراقبونه عن كثب:

ثُمَّ دَخَلَ أَيْضًا إِلَى الْمَجْمَعِ، وَكَانَ هُنَاكَ رَجُلٌ يَدُهُ يَابِسَةٌ. فَصَارُوا يُرَاقِبُونَهُ: هَلْ يَشْفِيهِ فِي السَّبْتِ؟ لِكَيْ يَشْتَكُوا عَلَيْهِ (مرقس ٣: ١، ٢)

بحسب الناموس، لم يكُن مسموحاً لأيِّ شخص أن يعمل في يوم السَّبت. وكان القيام بذلك مُخالفاً لشريعة الله؛ وبالتالي فهو خطيَّة. لكنَّ الفرِّيسيِّين جعلوا مُمارسة الطبيب لعمله أمراً محظوراً أيضاً رُغم أنَّ الناموس لم يَقُل إنَّ شفاء شخص ما في يوم السَّبت يُعَدُّ خطيَّة! فحقيقة الأمر هي أنَّ الفريسيين أضافوا قائمتهم الخاصَّة إلى الوصايا العشر وفرضوها على الناس بالقوَّة. لذلك، فقد راحوا يُراقبون يسوع لكي يروا ما إذا كان سيشفي ذلك الرجل في يوم السَّبت. لكنَّ يسوع كان مُدركاً تماماً للغاية التي لأجلها أعطى الله الوصايا العشر للبشر. ورغم أنَّ يسوع المسيح كان يعرف أنَّ الفريسيين يُخطِّطون للإيقاع به، ورغم أنه كان بإمكانه أن يتجنَّب المواجهة، إلاَّ أنه لم يتراجع:

فَقَالَ لِلرَّجُلِ الَّذِي لَهُ الْيَدُ الْيَابِسَةُ: «قُمْ فِي الْوَسْطِ!» (مرقس ٣: ٣)

يُمكنك هُنا أن ترى يسوع وهو يستدير ويُحدِّق في أولئك الأشخاص الذين كانوا يُدبِّرون له مُؤامرة للإيقاع به. وعندها ساد صمتٌ رهيب!

ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: «هَلْ يَحِلُّ فِي السَّبْتِ فِعْلُ الْخَيْرِ أَوْ فِعْلُ الشَّرِّ؟ تَخْلِيصُ نَفْسٍ أَوْ قَتْلٌ؟» (مرقس ٣: ٤)

عاد يسوع لتوجيه أسئلته المُحرجة! وعندها، شعر الفرِّيسيُّون بالغليان والغضب والكراهية من نحوه. فبما أنهم هُم رجال الدين، فقد كان يتعيَّن عليهم أن يعرفوا الإجابات عن مثل هذه الأسئلة. وهكذا، فقد أصبحت مصداقيَّتهم على المحك!

... فَسَكَتُوا. فَنَظَرَ حَوْلَهُ إِلَيْهِمْ بِغَضَبٍ، حَزِينًا عَلَى غِلاَظَةِ قُلُوبِهِمْ، وَقَالَ لِلرَّجُلِ: «مُدَّ يَدَكَ». فَمَدَّهَا، فَعَادَتْ يَدُهُ صَحِيحَةً كَالأُخْرَى (مرقس ٣: ٤، ٥)

المؤامرة

رغم الحرج الذي أصاب الفرِّيسيين، إلاَّ أنهم شعروا بالفرح أيضاً. فقد فعلها يسوع! لقد عمل يوم السَّبت! وهكذا، فقد ظنُّوا – بحسب فكرهم المُنحرف – أنهم أمسكوا به مُتلبِّساً بانتهاك الشريعة.

فَخَرَجَ الْفَرِّيسِيُّونَ لِلْوَقْتِ مَعَ الْهِيرُودُسِيِّينَ وَتَشَاوَرُوا عَلَيْهِ لِكَيْ يُهْلِكُوهُ (مرقس ٣: ٦)

لم يكُن مثل هذا التحالف شيئاً مألوفاً. فقد كان الهيرودسيُّون حزباً سياسيَّاً يُؤيِّد حُكم هيرودس والرومان، أمَّا الفرِّيسيون فكانوا يحتقرون الرومان؛ لكنهم كانوا يكرهون يسوع أكثر! وإن كانوا سيقتلون يسوع، فسوف يحتاجون لمساعدة الرومان.

وهكذا، رفض الزعماء الدينيُّون يسوع. ففي نظرهم، لم يكن هو المُخلِّص الموعود.

التلاميذ الإثنا عشر

فَانْصَرَفَ مَعَ تلاميذِهِ إلى بحرِ الجليلِ، وتَبِعَهُ جُمهورٌ كبيرٌ ... وهؤُلاءِ سَمِعوا بأعمالِهِ فجاؤُوا إلَيه.

وصَعدَ إلى الجبَلِ ودَعا الّذينَ أرادَهُم فحَضَروا إلَيه. فأقامَ منهُم اَثنَي عشَرَ سَمّاهُم رُسُلاً ... سمْعانُ وسَمّاهُ يَسوعُ بُطرُسَ، ويَعقوبُ ويوحنّا اَبنا زَبْدي وسَمّاهُما بُوانَرْجِسَ، أيْ اَبنَي الرَّعد، وأَندَراوُسُ وفيلبُّسُ وبَرثولوماوُسُ، ومتّى وتوما، ويَعقوبُ بنُ حَلْفى وتَدّاوُسُ وسِمْعانُ الوطنيُّ الغيورُ، ويَهوذا أسخَرْيوطُ الّذي أسلَمَ يَسوعَ. (مرقس ٣: ٧، ٨، ١٣-١٩ – المشتركة)

اختار يسوع من بين جميع تابعيه اثني عشر تلميذاً ليقضي معهم وقتاً إضافيًّاً. وكان هؤلاء عبارة عن مجموعة مُتنوِّعة تتألَّف من جابي ضرائب لدى الرومان يُمثِّل شريحة اجتماعيَّة مُعيَّنة، وشخص غيور (ينتمي لفئة الغيورين) كان قد تعهَّد بأن يُطيح بالرومان، ومجموعة من صيَّادي السمك. وكان الله وحده هو القادر على المحافظة على السلام والوفاق بين هؤلاء الرجال المُتنوِّعين! لكن على الرغم من خلفيَّاتهم المُتعدِّدة، فقد التزم هؤلاء الإثنا عشر جميعاً باتِّباع الرب يسوع المسيح في السرَّاء والضرَّاء، ما عدا شخصاً واحداً فقط!

٥. خُبز الحياة

بَعْدَ هذا مَضَى يَسُوعُ إِلَى عَبْرِ بَحْرِ الْجَلِيلِ، وَهُوَ بَحْرُ طَبَرِيَّةَ. وَتَبِعَهُ جَمْعٌ كَثِيرٌ لأَنَّهُمْ أَبْصَرُوا آيَاتِهِ الَّتِي كَانَ يَصْنَعُهَا فِي الْمَرْضَى. فَصَعِدَ يَسُوعُ إِلَى جَبَلٍ وَجَلَسَ هُنَاكَ مَعَ تَلاَمِيذِهِ. وَكَانَ الْفِصْحُ، عِيدُ الْيَهُودِ، قَرِيبًا.

فَرَفَعَ يَسُوعُ عَيْنَيْهِ وَنَظَرَ أَنَّ جَمْعًا كَثِيرًا مُقْبِلٌ إِلَيْهِ، فَقَالَ لِفِيلُبُّسَ: «مِنْ أَيْنَ نَبْتَاعُ خُبْزًا لِيَأْكُلَ هؤُلاَءِ؟» (يوحنّا ٦: ١-٥)

عاد الرب يسوع لطرح الأسئلة من جديد:

وَإِنَّمَا قَالَ هذَا لِيَمْتَحِنَهُ، لأَنَّهُ هُوَ عَلِمَ مَا هُوَ مُزْمِعٌ أَنْ يَفْعَلَ.

أَجَابَهُ فِيلُبُّسُ: «لاَ يَكْفِيهِمْ خُبْزٌ بِمِئَةِ دِينَارٍ لِيَأْخُذَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ شَيْئًا يَسِيرًا».

قَالَ لَهُ وَاحِدٌ مِنْ تَلاَمِيذِهِ، وَهُوَ أَنْدَرَاوُسُ أَخُو سِمْعَانَ بُطْرُسَ: «هُنَا غُلاَمٌ مَعَهُ خَمْسَةُ أَرْغِفَةِ شَعِيرٍ وَسَمَكَتَانِ، وَلكِنْ مَا هذَا لِمِثْلِ هؤُلاَءِ؟» (يوحنّا ٦: ٦-٩)

لا ندري إن كان أندراوس يأمل من يسوع أن يفعل شيئاً ما مثلما يأمل الفتى الصغير من أبيه أن يحل مُشكلةً ما!

فَقَالَ يَسُوعُ: «اجْعَلُوا النَّاسَ يَتَّكِئُونَ». وَكَانَ فِي الْمَكَانِ عُشْبٌ كَثِيرٌ، فَاتَّكَأَ الرِّجَالُ وَعَدَدُهُمْ نَحْوُ خَمْسَةِ آلاَفٍ. وَأَخَذَ يَسُوعُ الأَرْغِفَةَ وَشَكَرَ، وَوَزَّعَ عَلَى التَّلاَمِيذِ، وَالتَّلاَمِيذُ أَعْطَوُا الْمُتَّكِئِينَ. وَكَذلِكَ مِنَ السَّمَكَتَيْنِ بِقَدْرِ مَا شَاءُوا

يَسرد الكتاب هذه القصَّة كأمر واقع بحيث نكاد لا نُدرك ما حدث بالضبط. فقد أطعم الرب يسوع للتوّ جمهوراً هائلاً بذلك الطعام القليل الذي كان مع ذلك الصبي. فقد أخذ الرب يسوع الأرغفة الخمسة والسمكتين، وباركها، ووزَّعها على تلاميذه الاثني عشر الذين

قاموا بدورهم بتوزيعها على خمسة آلاف رجُل – عدا النساء والأطفال. وهكذا، رغم ذلك العدد الهائل من الناس إلاَّ أنَّ يسوع لم يبخَل عليهم؛ بل في الحقيقة أنَّ الطعام الذي قَدَّمه لهم كان أكثر من حاجتهم حيث تمكَّن كل تلميذ من أخذ سَلَّة طعام مليئة إلى بيته بعد أن شبع الجميع.

فَلَمَّا رَأَى النَّاسُ الآيَةَ الَّتِي صَنَعَهَا يَسُوعُ قَالُوا: «إِنَّ هذَا هُوَ بِالْحَقِيقَةِ النَّبِيُّ الآتِي إِلَى الْعَالَمِ!» (يوحنَّا ٦: ١٤)

اجعلوا يسوع ملكاً

كان تأثير تلك المُعجزة على الناس كبيراً جداً لدرجة أنهم قرَّروا أن يُنصِّبوه ملكاً عليهم بالقُوَّة. لكنَّ الرب يسوع لم يكُن يهتم بإنشاء مملكة أرضيَّة رغم أنَّه سيأتي وقت لذلك في المستقبل. أمَّا الآن، فقد كانت رغبته هي أن يسود على قلوب الناس.

وَأَمَّا يَسُوعُ فَإِذْ عَلِمَ أَنَّهُمْ مُزْمِعُونَ أَنْ يَأْتُوا وَيَخْتَطِفُوهُ لِيَجْعَلُوهُ مَلِكًا، انْصَرَفَ أَيْضًا إِلَى الْجَبَلِ وَحْدَهُ.

وَلَمَّا وَجَدُوهُ فِي عَبْرِ الْبَحْرِ، قَالُوا لَهُ: «يَا مُعَلِّمُ، مَتَى صِرْتَ هُنَا؟»

أَجَابَهُمْ يَسُوعُ وَقَالَ: «الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: أَنْتُمْ تَطْلُبُونَنِي لَيْسَ لأَنَّكُمْ رَأَيْتُمْ آيَاتٍ، بَلْ لأَنَّكُمْ أَكَلْتُمْ مِنَ الْخُبْزِ فَشَبِعْتُمْ» (يوحنَّا ٦: ١٥، ٢٥، ٢٦)

دوافع خاطئة

حسناً، لقد أدرك الرب يسوع أنَّ الناس يريدونه أن يُصبح ملكاً لكي يتمكنوا من الحصول على الطعام مجَّاناً! وللأسف الشديد أنهم لم يهتَّموا بحقيقة أنَّ تلك المُعجزات كشفت عن أنه هو المُخلِّص الموعود. لذلك، قال الرب يسوع:

«اِعْمَلُوا لاَ لِلطَّعَامِ الْبَائِدِ، بَلْ لِلطَّعَامِ الْبَاقِي لِلْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ الَّذِي يُعْطِيكُمُ ابْنُ الإِنْسَانِ، لأَنَّ هذَا اللهُ الآبُ قَدْ خَتَمَهُ» (يوحنَّا ٦: ٢٧)

كان الطعام الذي تناولوه قادراً على الحفاظ على حياتهم لفترة قصيرة فقط. لكنهم عاجلاً أم آجلاً سيموتون. لذلك، قال لهم الرب يسوع إنه ينبغي عليهم أن ينشغلوا بذاك الذي يمكنه أن يُعطيهم حياةً أبديَّة.

فَقَالُوا لَهُ: «مَاذَا نَفْعَلُ حَتَّى نَعْمَلَ أَعْمَالَ اللهِ؟»

أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ: «هذَا هُوَ عَمَلُ اللهِ: أَنْ تُؤْمِنُوا بِالَّذِي هُوَ أَرْسَلَهُ» (يوحنَّا ٦: ٢٨، ٢٩)

أراد الناس أن يعرفوا ما الذي ينبغي عليهم فعله لكي يحصلوا على الحياة الأبديَّة. فقال لهم يسوع إنَّ كل ما ينبغي عليهم فعله هو أن يؤمنوا به وأن يثقوا بأنه مُخلِّصهم. كان هذا هو كل شيء. وقد بدا الأمر بسيطاً للغاية!

فَقَالُوا لَهُ: «فَأَيَّةَ آيَةٍ تَصْنَعُ لِنَرَى وَنُؤْمِنَ بِكَ؟» (يوحنَّا ٦: ٣٠)

ما هذا؟ لقد كانوا يطلبون من يسوع أن يُقدِّم له علامة تُثبت أنه هو الذي كتب عنه جميع الأنبياء كما لو أنَّ إطعام الخمسة آلاف بطعام صبي واحد لم يكُن كافياً! وهكذا، فقد كان الناس يطلبون منه المزيد من الطعام المجاني!

آبَاؤُنَا أَكَلُوا الْمَنَّ فِي الْبَرِّيَّةِ، كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: أَنَّهُ أَعْطَاهُمْ خُبْزًا مِنَ السَّمَاءِ لِيَأْكُلُوا (يوحنَّا ٦: ٣١)

بعبارة أخرى، «لمَ لا تفعل الشيء نفسه يا يسوع؟» وهكذا، فقد رفضوا أن يروا أنَّ هذا الذي أطعمهم في ذلكَ المكان النائي هو نفسه الذي أطعم أجدادهم الأوائل في البريَّة. وبالتالي، فقد عجز هؤلاء الناس عن إدراك حقيقة أنَّ الرب يسوع يُريد أن يُعطيهم حياةً أبديةً وذلك بسبب رغبتهم الشديدة في الحصول على وجبات سهلة ومجانيَّة. وللأسف الشديد، لم تكُن لدى هؤلاء الأشخاص أي رغبة في معرفة الحق الروحي.

خُبز الحياة

فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: لَيْسَ مُوسَى أَعْطَاكُمُ الْخُبْزَ مِنَ السَّمَاءِ، بَلْ أَبِي يُعْطِيكُمُ الْخُبْزَ الْحَقِيقِيَّ مِنَ السَّمَاءِ، لأَنَّ خُبْزَ اللهِ هُوَ النَّازِلُ مِنَ السَّمَاءِ الْوَاهِبُ حَيَاةً لِلْعَالَمِ».
فَقَالُوا لَهُ: «يَا سَيِّدُ، أَعْطِنَا فِي كُلِّ حِينٍ هذَا الْخُبْزَ».
فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «**أَنَا هُوَ خُبْزُ الْحَيَاةِ**. مَنْ يُقْبِلْ إِلَيَّ فَلاَ يَجُوعُ، وَمَنْ يُؤْمِنْ بِي فَلاَ يَعْطَشُ أَبَدًا» (يوحنَّا ٦: ٣٢-٣٥)